إبليس

« . . . قال فاخرج منها فإنك رجيم »

(قرآن كريم — سورة الحجر)

من الصلصال والطين المهين ... براه الله فى فجر الزمان
كريمَ الخلق وضّاحَ الجبين ... كبير النفس ، فياض البيان

« • »

ونادى فى الملائك : « يا عبادى ! ... خلقتُ اليوم سيدكم جسيما
عظيمَ العقل ، موفور المداد ... نقى القلب ، أوّاباً ، مطيعا »

« • »

« سجوداً يا ملائكتى سجودا ... لآدم أقوم الأرواح طُرّا
أمرتكمو ، فإن تعصَوْا جحودا ... جعلتُ لكم جهنم مستقرّا ..! »

« • »

فخرّوا يلثمون الترب خوفا ... وحيوا طلعة النجم الجديد
وزفّوا شعرهم حبّاً وعطفا ... وضجوا بالصلاة وبالنشيد

« • »

فيالكَ من نشيد عبقرىّ ... تغنيه الملائك فى السماء
لآدم والد الخلق السرىّ ... ومبعوث الهداية والضياء

« • »

مضى الأملاكُ رتلاً مستطيلا يزفون التحايا من بعيدِ
سوى إبليس ، قد رفض المثولا وجاهرَ بالعداوة والكنودِ

« • »

فصاح الربُّ فى غضبٍ شديد : « ألا فاسجد كما سجدَ الجميعْ ! »
فقال لربه : « أزجى سجودى لوجهكَ لا لمخلوقٍ وضيعْ »

« • »

« من الحمأ المهين قد ابتدعتَهْ فكيف أذلّ للحمأ المهين !
وللصيد الملائكِ قد رفعتَهْ فتوجت السنى ممسوخ طينْ !

« • »

« ألا يا رب إنى قد عبدتُكْ وإنى خير خلقك أجمعينْ
وفى علوىٍّ خلقى قد عرفتكْ ولستُ أرى لمخلقى من قرينْ »

« • »

« فلا تثقلْ علىَّ فأنت أدرى بما قد قام فى نفسى الأبيهْ
ولا ترهق نهاى فان شرّاً عميماً يغمر الروح النقيهْ »

« • »

« وإنى قد عصيتُك يا إلهى لأنك سقتَ لى أمراً عصيا
وهذا الشرُّ يقبع فى شفاهى ليلعن ذلك المسخَ الزريّا

« • »

ولمّا كفَّ إبليسُ ، تعالت رياح السخط تزأرُ والرعودُ
وصاح الربُّ ، والأكوان مالتْ : « لُعِنتَ فأنت شيطانٌ مريدُ! »

« • »

لُعِنتَ ليوم بعثك يا رجيمُ فغادرْ جنتى واضربْ شريدا
فدارك آخرَ الدهرِ الجحيمُ تلاقى عند ساحتها الخلودا »

« • »

« ألا فاذهب كما تبغى كفورا فإنى قد نذرتك للسعير
وطيرْ وازجِ المآثم والشرورا إلى رجعاكَ فى اليوم الأخير »

« • »

« أيا ابليسُ هل تعصى كلامى وإنى مَنْ براكَ سنى منيرا ؟!
إذن فاهبط كمشبوب الضرام وكن ويلاً ، وشرّاً مستطيرا ! »

« • »

وغاب النور فى جوف الظلام وهاجَ اليمُّ ، مرهوبَ الضفاف
وصاحَ الشرُّ من خلف الغمام : « بدأتُ بهذه الدنيا طوافى ! »

« • »

« طُرِدْتُ من الجِنان ، وكنتُ فيها عظيمَ القدر ، محمودَ المكان »
كفرتُ وكنتُ أوّاباً نزيها وعُدْتُ بحسرتى أرثى زمانى »

« • »

« ألا فلأهدمِ الخيراتِ طُرّاً وأبعث خلف آدم حَبلَ غِيّى
محالٌ أنْ أُضيعَ اليومَ قصرا وأتركه لذيّاك الغبيّ »

« • »

وما زال اللئيم له تبيعا عظيمَ الصبر ، موفورَ الذكاء
وآدم صاغه المولى وديعا جهولاً بالمكارهِ والدهاء

« • »

نفاه عن الجنان وراح يغوى ذراريه على مَرّ العصور
ليخرجهم عن التقوى ويهوى بهم للنار فى يوم النشور !

مختار الوكيل